ASJP
Algerian Scientific Journal Platform

المجلة التاريخية الجزائرية

ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664

المجلد:08، العدد:01 (2024)، ص559 - 571

البعد التاريخي للأمة الجزائرية في الثورة التحريرية 1954 – 1962 من خلال وثائق أرشيفية

The historical dimension of the Algerian nation in the liberation revolution 1954-1962 through archival documents

عيسى حمري
جامعة خميس مليانة (الجزائر)
a.hamri@univ-dbkm.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2024/03/15
تاريخ القبول:
2024/05/01

الكلمات المفتاحية:
- ✓ الثورة الجزائرية
- ✓ الأمة الجزائرية
- ✓ اللغة
- ✓ الدين

الملخص:

نحاول من خلال هذه الدراسة معالجة قضية تاريخية فكرية حضارية عالجتها بعض وثائق الثورة الجزائرية التي توضّح مفهوم الأمة الجزائرية وتؤصّل للمفهوم الثوري الوطني التحرري من خلال نظرة الثورة للعقيدة الثورية التي تتجسد في مجموعة الأفكار والقوى التي تترجم طموحات وغايات المجتمع الجزائري الذي يحاول توحيد جهوده والانخراط في نضال وطني منظم من أجل الوصول إلى الهدف المنشود وهو الاستقلال. وتتمثل العقيدة الثورية وفقاً لتلك الوثائق الأرشيفية في العمل على إزالة وتدمير النظام الاستعماري وإقامة دولة جزائرية، والسعي لتجسيد مجموعة من المبادئ التوجيهية منها التأكيد على وجود الأمّة الجزائرية وجذورها التاريخية وحقها في الاستقلال، إدانة وتصفية النظام الاستعماري، خصائص الأمّة الجزائرية، إقليمها، الماضي التاريخي، التطلعات المشتركة، اللغة، والدين.

Article info

Received:
15/03/2024
Accepted:
01/05/2024

Key words:
- ✓ Algerian Revolution
- ✓ The Algerian Nation
- ✓ The Language
- ✓ The Religion

Abstract:

Through this study, we are trying to address a historical, intellectual, and cultural issue that was addressed by some documents of the Algerian revolution that worked to present the concept of the Algerian nation and root it in the revolutionary, national, liberation concept of the issue through the revolution's view of the revolutionary doctrine, which is embodied in the group of ideas and forces that translate the aspirations and memories of the Algerian society that is trying to unify its efforts. He engages in an organized national struggle aimed at achieving the desired goal, which is independence. The doctrine works to remove or destroy the colonial system and establish an Algerian state. For this purpose, it seeks to embody a set of guiding principles, including affirming the existence of the Algerian nation, its historical roots, and its right to independence. Condemning and liquidating the colonial system, the characteristics of the Algerian nation, the region, the historical past, common aspirations, language, and religion.

مقدمة

تعالج هذه الدراسة مسألة الأمة الجزائرية وبعدها التاريخي من خلال بعض الوثائق الأرشيفية للثورة متمثلة في بعض المناشير السياسية الصادرة عن قيادة هيئة الأركان العامة للثورة التحريرية التي تؤكد على تعريف الأمة الجزائرية وأصالة وعدالة قضيتها وفي وجودها التاريخي عبر كل المراحل والحقب التاريخية التي مرت بها الجزائر مبرزة حقها الشرعي في الاستقلال الوطني من خلال إزالة النظام الكولونيالي الذي أعطى لوجوده بالجزائر شرعية تاريخية مزيّفة، إضافة إلى عداءه الواضح لكل ماله علاقة بالهوية العربية الإسلامية للجزائر مما يترجم الاعتداءات المتكررة على مؤسساته الدينية والقضائية والتعليمية، كما يؤكد على وجود الأمّة الجزائرية تاريخيا وعلى هويتها المتمثلة في اللغة العربية والدين الإسلامي الذي منحها صبغة حضارية وثقافية وفكرية مميّزة، وهذ ما يقودنا إلى طرح الاشكالية التالية: **كيف كانت نظرة الثورة الجزائرية لمفهوم الأمة الجزائرية وبعدها التاريخي والحضاري؟**

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على رد الثورة الجزائرية على الادعاءات الفرنسية التي تروّج لها المدرسة التاريخية الاستعمارية التي تسعى لإعطاء شرعية تاريخية وحضارية لوجودها في الجزائر، خاصة مرحلة الحرب الشاملة وهي مرحلة دموية مارست فيها فرنسا القتل والتنكيل والابادة الجماعية بمختلف أشكالها، وشرعنت سياسة القتل والنفي والتهجير بطريقة ممنهجة لضمان القضاء على العنصر المسلم، والتي استمرت حتى مجازر 08 ماي 1945، كما تهدف إلى التذكير بالمقاومات الوطنية التي امتدت خلال القرن التاسع عشر من مقاومة الأمير عبد القادر إلى مقاومة أولاد سيد شيخ وغيرها، ورغم التفوّق التقني والعسكري للجيش الفرنسي، الذي أرغم الشعب الجزائري على التخلي مؤقتًا عن القتال المسلح، ولكنه مع ذلك استمر في قيادة النضال من أجل استقلاله حتى تفجير الثورة التحريرية في الأول من نوفمبر 1954م.

1. التأكيد على وجود الأمة الجزائرية والحق في استقلالها

هناك عدة تعريفات للأمّة ولكن أفضلها بلا شك هو ما ورد في هذه الوثائق وهو كما يلي :"**الأمّة هي مجتمع مستقر يتألف تاريخيًا من اللغة والإقليم والحياة الاقتصادية والتكوين النفسي، والتي تُترجم إلى مجتمع الثقافة**". (SHAT, 1H1647, EDUCATION POLITIQUE. QUEST CE QUE LA DOCTRINE? 1961, 4 p.). هذا التعريف يعطي الأمّة حقيقة دائمة ومكتملة لأنّه يوحّد كل العناصر المتناثرة في التعريفات الأخرى، إذ يؤكد بحق على المجتمع الذي يحقّق الحياة الوطنية، ويوضّح أن الأمّة لا تحددها قوة الحكومة أو النظام السياسي والاجتماعي، بل هي بطريقة ما أعمق بكثير من ذلك، وقد تظهر أمام مثل هذا النوع من الأمّة، وبالتالي فالبقاء على قيد الحياة في ضوء هذا التعريف ووجود الأمّة الجزائرية هي حقيقة لا جدال فيها (SHAT, 1H1647, LES PRINCIPES DIRECTEURES DE LA DOCTRINE, 1961, p1.).

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

ثمّ يضيف أنّ الأمّة هي واقع وكائن حيّ ولكن بدلاً من أن تتكوّن من فرد واحد فإنّها تتألف من جماعة من الأفراد، وبما أنّ الروح بحاجة إلى جسد فالأمّة بحاجة إلى أرض إنها التراب الوطني ونحن مرتبطون ارتباطًا وثيقًا بالأرض، وهذا يعطي الوطن طابعًا مقدسًا. أينما نكون في العالم، نفكر في الوطن، اسأل مواطنينا الذين عادوا من الأراضي الأجنبية سيخبرونك كم يعاني المرء من الابتعاد عن الوطن ومدى شعوره بالتعلق بهذا الجزء في نفسه. (SHAT, 1H1647, LES PRINCIPES DIRECTEURES DE LA DOCTRINE, La nation algérienne: ses caractéristiques, Le Territoire, 1961, p5.)

الأمّة مثل الإنسان تتكون من الذكريات التي تشكل الماضي التاريخي لهذه الأمّة، فوجود أمجاد مشتركة في الماضي وإرادة مشتركة في الحاضر هي الشروط الأساسية للشعب. لقد عرفت الجزائر أياماً مجيدة، لقد شهدت حقبة حقيقية من العظمة في زمن الموحدين والمرابطين والفاطميين وبني زيان، وبدورها كانت تلمسان وبجاية والجزائر عواصم للدولة، وكان للبلاد شعراءها ومفكروها ومؤرخوها وفلاسفتها وعلماؤها وحرفها وأدبها العربي الضخم الذي ساهم في عظمتها وعظمة الحضارة العربية التي ننتمي إليها (SHAT, 1H1647, LES PRINCIPES DIRECTEURES DE LA DOCTRINE, La nation algérienne: ses caractéristiques ,Le Passé historique, 1961, p5.).

من المسلّم به أن الجزائر عانت من نير الاحتلال الفرنسي ولم تبقى دولة ذات سيادة، ولكن الحقيقة التي لا يمكن اخفاءها أنه قبل فترة طويلة من الغزو الفرنسي الذي لا زال مستمراً والتي يؤكدها التاريخ هنا، أن وطننا كان يقوده قادة ورؤساء مرموقين ساهموا في قوّتها ووحدتها السياسية والحضارية المزدهرة والمتقدمة. لقد كانت هناك حياة وطنية راسخة قبل العصر المسيحي وأثناء الاحتلال الروماني، وتؤكّد العديد من الأحداث هاته الجزائر التي كانت في ذلك الوقت، وهذا ما يجعلنا نقول إن الجزائر كانت تمتلك بالفعل روحًا وطنية منذ القرن 08م، أي بعد أن سكن الإسلام كل القلوب، فنشأ مجتمع قوي من خلال الدّين واللّغة والشخصيات الإسلامية. (SHAT, 1H1647, EDUCATION POLITIQUE. LES PRINCIPES DIRECTEURES DE LA DOCTRINE, 1961, 2 p.).

عزز العدوان الجبان منذ عام 1830م التأكيد على وجود أمّة مستقرة، تشترك في الدّين واللّغة والخصائص النفسية والمصالح السياسية والاقتصادية. هذا المجتمع الذي هو الرّكن الأساسي لمفهوم الأمة، والذي يتجلّى بوضوح في الوعيّ الجمعي الجزائري من خلال التضحيات والآلام والمعاناة والأفراح التي عاشتها الأمّة معًا أو ورّثتها الأجيال السابقة، ولا سيما في شكل مُثُل مشتركة يجب تحقيقها على هذا النحو. إنّ المقاومة النشطة أو الكامنة في الشعب الجزائري بقوة، والحيويّة الشديدة، وتمرّداته المستمرة، هي دليل صارخ لصالح قوة هذا المجتمع. حقيقة أن الثروة والأنشطة الاقتصادية للبلد كالأرض، باطن الأرض، الصناعات، التجارة، التمويل، والأعمال التجارية المختلفة هي في أيدي المحتل الفرنسي، وأن المواطن الأصلي أصبح

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

أجنبيًا وعبدًا في وطنه، لكنّ المجتمع انجذب لتطلعات وطنية عميقة (SHAT, 1H1647, LES PRINCIPES DIRECTEURES DE LA DOCTRINE, 1961,p2.).

اعتمدت فرنسا على أسطورة الجزائر الفرنسية، وأن الجزائر مقاطعة فرنسية، بهدف إضفاء الشرعية على عدوان عام 1830م لتحمي نفسها من كل النظرات على أنّها أجنبية دخيلة، في محاولة لإثبات أن الأمّة الجزائرية غير موجودة، لكن الأمّة هي مجتمع من الرجال تربطهم مجموعة من الأراضي، والماضي التاريخي، والتطلعات المشتركة، واللغة، والتدريب النفسي والاهتمامات (SHAT, 1H1647, LES PRINCIPES DIRECTEURES DE LA DOCTRINE, La nation algérienne: ses caractéristiques, 1961, p5.).

إنّ بروز الكيان الجزائري كأمّة متمثلة في دولة وشعب، فالجزائر يتوفر فيها عامل أساسي جعلها تقاوم وتصمد أمام الاحتلال الفرنسي الغاشم طيلة فترة تواجده، هذا الاخير الذي يعتبر أقوى دولة إمبريالية مدعم بمؤرخي المدرسة الفرنسية التي استخفت بالشخصية الجزائرية، وهكذا فإن الشعب الجزائري يحمل في داخله كل العناصر المكوّنة للأمّة مادياً ومعنوياً، وهذا الوجود للأمّة الجزائرية بالتحديد هو الذي يمكننا اليوم من فهم لماذا كان على الشعور الوطني الجزائري أن يتطوّر ليصبح قوّة حقيقية، فقط هذا التحليل للوقائع التاريخية يقضي على أطروحة المنظّرين الإمبرياليين الذين يميلون إلى إنكار وجود الأمّة الجزائرية، أمّا النظريات الجنائية القديمة لبعض الأطراف المتنازعة فقد رفضوا هذا الوجود بحجة خاطئة مفادها أن الوحدة الجزائرية لم تكتمل، وأن الأمّة الجزائرية في طور التكوّن، وغني عن التعبير أنّهم ينضمون إلى الأطروحة السخيفة للمستغلين الاستعماريين الذين لم يتوقفوا عن استغلال سياسة شؤون السكان الأصليين، وسياسة الآباء البيض، بهدف تفكيك العائلة الجزائرية من العرب والشاوية والقبائل والمزابيين، بينما تحققت الوحدة الوطنية الجزائرية على مدار قرون من التاريخ المشترك في النضال من أجل الاستقلال (SHAT, 1H1647, LES PRINCIPES DIRECTEURES DE LA DOCTRINE, 1961,p2.).

تطبيقًا لهذه الأطروحة مارس الاستعمار دائمًا سياسة التقسيم وفقدان الثقة من أجل تأليب المسلمين الجزائريين ضد بعضهم البعض، ولكن بفضل الإسلام الذي كان أحد أقوى التيارات الدينية في تاريخ البشرية تم تشكيل مجتمع ثقافي حقيقي ذو قوة لا تصدق في بلدنا. إنّه عمل غبيّ حقًا أن يترك المرء نفسه عالقًا في هذا الروتين الاستعماري يُنكر بشكل أو بآخر وجود الأمّة الجزائرية وبالتالي إمكانية عيش حياة وطنية حرّة ومستقلة (SHAT, 1H1647, LES PRINCIPES DIRECTEURES DE LA DOCTRINE, 1961,p2.).

على أيّة حال إذا كان وجود عناصر عرقية مختلفة على أرض الجزائر مدعاة للتخلّي عن السيادة الوطنية، فسيكون الأمر نفسه بالنسبة لفرنسا حيث يوجد العديد من الأعراق: الأوفرنيون، البروتانيّون، السافارديم، الباسكيين، الألزاسيّون... إلخ، نفس الحجة ستكون صالحة لجميع دول العالم التي تشكّلت عمومًا

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

من مساهمات المهاجرين أو الغزاة الذين اندمجوا مع الأجناس المحليّة، والحقيقة هي الدولة والرّوح الجزائرية لم تتوقّف عن كونها حيّة ونشطة رغم الغزو الذي حرمها من حقها في التعبير، إنّها موجودة كأمّة على الرّغم من سياسة نزع الشخصية من الإمبريالية، إنّ للشعب الجزائري الحقّ في أن يحكم نفسه، وأن يتمتّع بالاستقلال والسيادة التي انتزعت منهم بالقوة. (SHAT, 1H1647, LES PRINCIPES DIRECTEURES DE LA DOCTRINE, 1961,p2.).

وللتذكير فإنّ تعريف الأمّة كما جاء في الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها السادسة، وقت اعتماد المادة الأولى من مشروع الاتفاقيات المتعلقة بحقوق الانسان هو: "الأمّة هي كيان لديه شعور بتكوين معين، تُعتبر عناصره نفسها متميزة عن بقية البشرية، وهو ما يمثل تتويجًا لتاريخ وتقاليد مشتركة تم إنشاؤها بواسطة الجهد الجماعي، والذي يولّد إحساسًا بالقرابة التي تُوحّد الرجال في مجموعة واحدة للتعرّف على سماتهم المشتركة وتسليط الضوء على تميّزهم عن باقي الأشخاص الآخرين، وورثة منظمة اجتماعية متميزة، مما يمنحهم قوّة كبيرة للبقاء، ولتمكينهم من الاستمرار بنجاح النضال من أجل الوجود فلا بدّ أن يكون لديهم تطلعات سياسية مع الرغبة في تنظيم مصيرهم والدفاع عن كرامتهم. (SHAT, 1H1647, LES PRINCIPES DIRECTEURES DE LA DOCTRINE, 1961, p2.).

2. إدانة وتصفية النظام الاستعماري

تسعى الثورة الجزائرية هي الأخرى إلى إدانة وتدمير النظام الكولونيالي، هذا النظام الذي تمثّل مبادئه كما في تطبيقه نظام سياسي بربري، إنه نتيجة لقانون الأقوى، ويعمل على إنكار الحقوق المقدسة للإنسان ولا ينبع من المثالية الإنسانية كما يحاول إقناع الناس ولكن من الاعتبارات المادية في الأساس، لقد ألحق الكثير من الضرر والضعف للشعوب، إنه باختصار نظام المستوطن الملك والمسلم الجزائري العبد، ولتحقيق ذلك يكفي قراءة تاريخه المخيف، فهو سلسلة متواصلة من الجرائم والسرقات والمصادرة والاغتيالات، إنّ بقاءه مخجل لماض مضى، واختفائه من أجل السلام العام وشرف الإنسانية أمر أساسي، إن إفلاس الاستعمار الفرنسي في الجزائر واضح للغاية، ولأسباب وجيهة يكرهه الشعب الجزائري ويعتبره مسؤولاً عن كل مصائبه وركوده الاجتماعي (SHAT, 1H1647, LES PRINCIPES DIRECTEURES DE LA DOCTRINE, 1961,p3.).

وهذا ما خلق إطار متكيّف يمر عبر استيراد الحضارة الفرنسية الغربية وثقافتها الدخيلة التي تعمل على تفكيك البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري خاصة الدين الإسلامي الحاضن له (ريسلير، ص 49). فبعد الاحتلال وبسط الاستعمار الفرنسي نفوذه على الجزائر ركز على محاربة الثقافة والشخصية الجزائرية واللغة العربية في كل مجالات الحياة وقام بإبعادها عن الادارة وأصبحت اللغة الفرنسية لغة رسمية حتى في مناطق الجنوب الصحراوي التي يقطنها عدد قليل من الجزائريين (تركي، ص 93).

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

إنّ التأكيد على النضال الوطني المنظم وفق إيديولوجية الثورة الجزائرية بهدف تحقيق الاستقلال يفرض علينا تدمير النظام الاستعماري واستبداله بدولة جزائرية، هذه هي عقيدتنا وإديولوجيتنا. ويمكن تلخيص هذه العقيدة في مجموعة من المبادئ التوجيهية التي تسعى الى تحقيق الاستقلال للأمّة الجزائرية وإدانة وتصفية النظام الاستعماري، وتحقيق متوسط من النضال من أجل تحقيق هذه المبادئ (SHAT, 1H1647, Documents récupérés sur les rebelles le 7 novembre 1961, ETATS MAJORS GENERALE, EDUCATION POLITIQUE, p1).

ارتبط النضال الوطني ضد أساليب الاستعمار من أجل تحقيق الشروط اللازمة للتحرر الوطني ارتباطًا مباشرًا بمشكلة تنظيم العمل. وبكل موضوعية، لقد كان تنظيم العمل لفترة طويلة ينقص الشعب الجزائري، من الواضح أن مفهومي التنظيم والعمل هما جوهر الحياة ويُكمّل كل منهما الآخر. **ما هو تأثير التنظيم بدون عمل أو العمل بدون تنظيم؟** هو القصور الذاتي وفقدان القوة. والحقيقة أن حالة عدم تنظيم حركة الجماهير هي المناخ الملائم لنجاح السياسة الاستعمارية، فهي مصدر كل المشاعر السلبية للأنانية واللامبالاة والسلبية من هذه الزاوية، من السّهل فهم أهمية سياسة تنظيم العمل التي من خلالها يتمّ الحفاظ على الإمبريالية الفرنسية، يجب أن يتمثّل هدفها الأول بشكل طبيعي في إرساء أسس حركة وطنية لا تأخذ بعين الاعتبار الاتجاهات السياسية أو الدينية القديمة أو الاعتبارات العرقية، أي اتحاد الضمير والإرادة لفرض ونشر عقيدة النظام وكلمات السر الخاصة به، هذه المرحلة التي كان من الممكن أن تكون أولية، بدأت في الأول نوفمبر 1954 وتمّ تحقيقه بواسطة النشاط العسكري، وُلد في نفس اليوم الذي وُلد فيه جبهة وجيش التحرير الوطني الذي سيُتمم تحرير الوطن (SHAT, 1H1647, LES PRINCIPES DIRECTEURES DE LA DOCTRINE, 1961,p4.).

إنّ أسطورة ما يسمى بالمهمة الحضارية ليست سوى طريقة ذكية لتبرير الاستعمار وتمويه القمع السياسي والاستغلال الاقتصادي اللذين يشكلان سبب وجوده الوحيد في الجزائر طيلة فترة الاحتلال الذي نتج عنه البؤس والظلم المتراكم بشكل دائم ضرره، لا يريد الاستعمار أن يموت ويحاول بكل الوسائل الحفاظ على امتيازاته المفضوحة، لكن متطلبات التقدم والإرادة الشرسة للشعب الجزائري ستوجه له الضربة المميتة، حرب بلا رحمة ضد الاستعمار الذي يقيّد وطننا، ومقابلته بالحرب لسحقه كليّة هو جزء من عقيدة الجزائر الحرة غير الخاضعة للسيطرة، والعمل على التخلّص إلى الأبد من الهيمنة الأجنبية. لكن هذه الحرب التي يتعيّن القيام بها تتطلب المعرفة بمبادئ عمل الاستعمار، التي ترتكز على هيمنته السياسية والاقتصادية في مناخ الاستقرار والأمن. والعمل على تحويل طاعة الشعب الجزائري إلى واجب، والمعارضة المنهجية لإيقاظ الوعي الوطني للشعب الجزائري (SHAT, 1H1647, LES PRINCIPES DIRECTEURES DE LA DOCTRINE, 1961,p3.).

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

ولتطبيق مبادئ عمله يستعمل الاستعمار أسلوبين حسب الظروف: الأسلوب المرن الذي يعمل على الحط من قدر الجماهير وإضعافها بالآفات الاجتماعية كنشر الأمّية، الكحول، الدّعارة، وغيرها أمّا الأسلوب القوي فيعمل على إضعاف معنوياته من خلال التقسيم والفساد، ونجد الأساليب الكلاسيكية للاستعمار في اللغة الإمبريالية يُطلق على احترام بصمات الأساليب التي أشرنا إليها في السياسة التقليدية لفرنسا التي تدّعي الإنسانية والسخاء بعد 132 عامًا من فرض العبودية، نعرف ما يعنيه ذلك إنّها سياسة التقسيم على أساس عرقي البربر والعرب، وعلى أساس الطابع الديني العلماء والمرابطون والإصلاحيون والكتلة والنخبة، إنها سياسة الأكاذيب، تشويه منهجي للحقائق التاريخية والعمل على تبني سياسة الإحباط الوحشية ضد الجماهير من خلال نشر الآفات الاجتماعية، إن سياسة التخويف والاستفزاز بإعطاء ذرائع القمع للجيش الفرنسي المجرم المتعطش للدماء طيلة فترة الاحتلال، وكذا قمع الحركة الاحتجاجية الوطنية الجزائرية والعديد من الانتفاضات هي الوجه الأكثر مأساوية في تاريخ الشعب الجزائري الذي كان دائما متمرّداً ضد الاستبداد الأجنبي (SHAT, 1H1647, LES PRINCIPES DIRECTEURES DE LA DOCTRINE, 1961, p3 et 4.).

3. خصائص الأمّة الجزائرية

ارتكزت السياسة الفرنسية في هذا المجال على السيطرة والإخضاع رغم ردّ الفعل الوطني، وهذا ما جعل فرنسا تنتهج سياستها الاستعمارية من أجل تحقيق أهدافها، فمحاولاتها الاخيرة من خلال طرح شعار "**الجزائر الفرنسية**" هو تأكيد لأطروحتها الاستعمارية القائلة بأن الجزائر مقاطعة فرنسية، لهذا تسعى الكتابات الفرنسية التي تدعمها المدرسة الكولونيالية التي تروج لأسطورة الجزائر الفرنسية إلى إضفاء الشرعية على عدوان عام 1830م، وأن تجعل الوجود الفرنسي امتداد للرسالة الحضارية وأنّه ليس أجنبي على هذه الارض بكل غرور وكذب وتدليس للتاريخ والحقائق من أجل محاولة إثبات أنّ الأمّة الجزائرية غير موجودة، بل هي موجودة وتثبت أصالتها في مجموعة من الأشخاص المرتبطة بوجود مجتمع على أرض الجزائر من خلال ماضيها التاريخي وتطلعاتها المشتركة واللغة والتنشئة النفسية والدين (SHAT, 1H1647, LA NATION ALGERIENNE SES CARACTERISTIQUES, 1961, 5p.).

1.3. الإقليم

الأمّة هي كيان وواقع حيّ تتألف من جماعة من الأفراد، فكما أن الروح بحاجة إلى جسد فالأمّة بحاجة إلى أرض، إنها التراب الوطني، نحن مرتبطون ارتباطًا وثيقًا بالتراب الوطني وهي أرضنا، التي يعيش فيها كل إخواننا، وأخواتنا، ووالدينا، وأصدقائنا، هذا يعطي الأراضي الوطنية طابعًا مقدسًا. فأينما وجدنا أنفسنا في العالم، نفكر في الوطن، اسأل مواطنينا الذين عادوا من الأراضي الأجنبية، سيخبرونك كم يعاني المرء من الابتعاد عن بلده الأصلي، ومدى شعور المرء بالتعلّق بهذا الجزء في نفسه، كما تشكّل الجزائر من الناحية الجغرافية الجزء المركزي من المغرب العربي، فهي تمتد من الشرق إلى الغرب، كما أنّ هناك الماضي التاريخي

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

SHAT, 1H1647, LA NATION ALGERIENNE SES CARACTERISTIQUES,) .(TERRITOIRE, 1961, 5p.

2.3. الماضي التاريخي

الأمّة مثل الإنسان تتكوّن من الذكريات التي تشكّل الماضي التاريخي لهذه الأمّة، وقد قالها المفكر رينان بشكل جيّد: "**الأمّة هي روح، هي مبدأ روحي، وهما في الحقيقة شيئان يشكلان أمراً واحداً، يشكّلان ذلك الأنا، وذلك المبدأ الروحي. الأول في الماضي، والآخر إرث تاريخي ثري من الذاكرة، وكذا الرغبة في العيش معًا، والإرادة لمواصلة الحفاظ على التراث الذي حصل عليه المرء، مع وجود أمجاد وإرادة مشتركة في الماضي والحاضر، بعد أن إنجاز أشياء عظيمة معًا، والرغبة في فعل المزيد، هذه هي الشروط الأساسية للأمّة في الماضي**" (SHAT, 1H1647, LA NATION ALGERIENNE SES CARACTERISTIQUES, LE PASSE HISTORIQUE, 1961, p5.).

هناك تراث وأمجاد يتقاسمونها في المستقبل، حيث عرفت الجزائر أياماً مجيدةً حينما كان الجزائريون أحراراً ومستقلين، لقد كانت حقبة حقيقية من العظمة في زمن الموحدين والمرابطين والفاطميين وبني زيان، وبدورها كانت تلمسان وبجاية والجزائر عواصم لدولة الجزائر، وكان للبلاد شعراءها ومفكروها ومؤرخوها وفلاسفتها وعلماؤها وحرفييها وأدبها العربي الضخم الذي ساهم في عظمتها وعظمة الحضارة العربية التي ننتمي إليها، ساهمت الحضارة العربية في إخراج أوروبا من الظلم الهمجي والظلام، لقد ورثنا أسلافنا أيضًا من حيث الآثار التاريخية التي نعجب بها والمساجد والقصور والمباني من جميع الأنواع، والتي كان عدد كبير منها قد تمّ محوها وتدميرها على يد العسكر الفرنسيين مثلما فعل الوندال (SHAT, 1H1647, LA NATION ALGERIENNE SES CARACTERISTIQUES, LE PASSE HISTORIQUE, 1961, p6.).

كانت أول خطوة قام بها الاحتلال الفرنسي بعد أشهر قلائل من احتلال مدينة الجزائر إصدار قرار 08 سبتمبر 1830م الذي استولت فرنسا بمقتضاه على جميع أملاك الأوقاف الإسلامية في سائر أنحاء الجزائر، وفي 07 ديسمبر 1830م أصدرت إدارة الاحتلال قرار آخر أعطت فيه لنفسها الحق أن تتصرف في تلك الأوقاف الإسلامية، فعمدت إلى الاستلاء على معظم المساجد الإسلامية الهامة وتحويلها الى كنائس أو كاتدرائيات أو ثكنات وغيرها، ثم تتابعت عمليات التحويل إلى كنائس ومراكز للشرطة وثكنات فلم يبق بالعاصمة وحدها سوى اربع (4) مساجد من 160 مسجد وزاوية، وكان الهدف من هذا كلّه هو القضاء على الدور الفعال لتلك المساجد في قيادة الثورات الشعبية والجهاد ضد الكفار والاستعمار الفرنسي في الجزائر.

حملت السياسة الفرنسية منذ البداية مشروعا استعماريا ثقافيا، يهدف الى محو ماضي الجزائريين وكل ما يربطهم بتاريخهم ومقوّماتهم وثقافتهم، وكذا القضاء على الإسلام واللغة العربية، لذلك سعت إلى إدماج الجزائر وفرض اللغة الفرنسية، كما لعبت العمليات التنصيرية والتبشيرية دورا في هذا السّياق، ولهذا سعت فرنسا الى

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

تحقيق مشروعها المتمثل في محاولة إدماج وطن كان يختلف عنها بشريا وقومياً، وتعود هذه السياسة إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر، إذ جاء الجنرال بيجو بفكرة الإدماج الكامل للشعب الجزائري وإذابته في العنصر الأوروبي للتراجع عن سياسة الاحتلال الجزئي وتطبيق الاحتلال الكامل (أجيرون، ص52).

ارتبط التنصير في الجزائر بالاحتلال الفرنسي، فقد كان مجرد وسيلة لخدمة الاستعمار الفرنسي وبوق إعلامي ودعائي لشحذ الهمم وتهيئة الراي العام الفرنسي والأوروبي لتدعيم الوجود الفرنسي العسكري والسياسي في الجزائر لتكتمل الصورة الاستعمارية، كان هدف فرنسا القضاء على الجذور الإسلامية للمجتمع الجزائري وهذا بنشر المسيحية أو على الأقل زعزعة عقيدة الجزائري ولهذا الغرض كانت الحملة الفرنسة على الجزائر سنة 1830م تضم عددا من القساوسة ورجال الدين المسيحي الذين استُقدموا خصيصا لهذا الهدف، وهو ما يتجلى في ممارسات السياسة الفرنسية، ففي مدينة الجزائر وحدها كان هناك في عام 1830م أكثر من 150 مسجدًا وفقًا لكتابات الفرنسيين أنفسهم، وقد تمّ نهبها جميعها تقريبًا أو تحويلها إلى كنائس. وسنذكر من بينها في الأخير فقط مسجد "**كتشاوة**" ومسجد السيّدة، وهما حالياً كاتدرائية وكنيسة في باب الواد، وللتاريخ نتذكّر ستّة مساجد أخرى: مسجد الميناء (la pécherie)، الجامع الكبير، مسجد قشكون، جامع صالح باي بقسنطينة الذي تحوّل إلى كاتدرائية، مسجد سيدي بومدين بتلمسان، ما يعطي انطباعًا عن العظمة والثراء، ويشهد على درجة تقدّم الحضارة التي وصل إليها أجدادنا (SHAT, 1H1647, LA NATION ALGERIENNE SES CARACTERISTIQUES, LE PASSE HISTORIQUE, 1961, p6.).

لعبت الجزائر دوراً تاريخياً كبيراً على الصعيد السياسي والعسكري والتجاري حيث شهدت البلاد معارك طاحنة وعقدت عدّة علاقات مع دول مجاورة وأجنبية، إضافة إلى أنّ وقوعها في جنوب الغرب الأوربي جعلها عرضة لعدوانهم، ممّا يجعل الوطن كله متحداً من خلال هبّة سكان المناطق الداخلية مع الشمال الذي يتعرض للعدوان الأجنبي، هنا نلمس ونسجل الوعيّ السياسي الوطني العالي لنجدة الوطن كدليل على الوحدة الوطنية. وقد ترجمت هذه النضالات في رجال لامعون ذوو شهرة عالمية مثل طارق بن زياد الذي فتح إسبانيا على رأس 12 ألف رجل من شمال إفريقيا في عهد الإسلام. وعبد المومن من ندرومة الذي نظّم دولة مغاربية امتدت من رمال طرابلس إلى شواطئ المحيط الأطلسي، والحاج عبد القادر أمير كل المؤمنين ورمز المقاومة والاستقلال الجزائري الذي عارض برفع السلاح لمدة 17 سنة ضد أقوى جيش في زمانه، ومن بين مشاهير الادميرالات الجزائريين نذكر بابا عروج (بربروسا)، رايس حميدو، قلج علي الذي بعد قيادته للبحرية الجزائرية لسنوات عديدة استدعاه السلطان العثماني في اسطنبول لإعادة تنظيم الأسطول العثماني، والذي جاء بفكرة حفر قناة السويس قبل فرديناند ديليسبس. إن ماضي العظمة والحضارة هذا هو الذي يعطي شخصيتنا كأمّة، قبل قرن ونصف تقريبًا، كان للجزائر أقوى قوة بحرية في البحر الأبيض المتوسط، وقد تمّ الاعتراف بشجاعة البحارة الجزائريين وروحهم الجريئة في جميع أنحاء العالم، وبفضل هذه البحرية على وجه الخصوص تمكنت الجزائر من الحفاظ

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

على استقلالها منذ زمن طويل. (SHAT, 1H1647, LA NATION ALGERIENNE SES CARACTERISTIQUES, LE PASSE HISTORIQUE, 1961, p6.).

رغم ان الجزائر مرّت بفترة قوّة ومجد طويلة إلاّ أنّها عانت أيضًا ظروفاً قاسية من المعاناة والبؤس بعد الاحتلال الفرنسي وهي أحلك فترة في تاريخ الجزائر، فأوّل ما أقدمت عليه إدارة الاحتلال بعد استلائها على مدينة الجزائر تمثّل في اغتصاب الممتلكات رغم الاتفاق الذي وقع بينها وبين الداي حسين والقاضي باحترام عادات و تقاليد الجزائريين وديانتهم، إلاّ أنّ ما وقع بعد ذلك فاق كل التصوّرات والتوقّعات فلم تسلم الأملاك ولا الأرواح من بطش وهمجية جنود الاحتلال، فالمؤسسات الدينية لم تسلم من الهدم والتحويل من الاستعمار، إنّه عصر المجازر والنهب وجرائم الرّعب والاغتيال والبؤس والعبودية، إنّه العصر الجهنّمي للاستعمار بكل ما ينطوي عليه من حزن ودموع ودماء، إنّه عصر القمع ونزع الملكية والإبادة الجماعية، حيث أظهر الشعب الجزائري بشدّة إرادته للدفاع عن حريته واستقلاليته، إنّه الوقت الذي انتفض فيه أبطال الجزائر ليقودوا الشعب إلى المعركة الحقيقية والهدف المنشود وهو الاستقلال الوطني عن الاستعمار (SHAT, 1H1647, LA NATION ALGERIENNE SES CARACTERISTIQUES, LE PASSE HISTORIQUE, 1961, p6.).

استمرت الجزائر لأكثر من أربعين عامًا، من 1830 إلى 1871م. فمراحل الحرب الشاملة من 1830 إلى 1848 في ذاكرة الجميع. لنتذكر المراحل الدموية اللاحقة: حملات بليسييه عام 1849 في جنوب وهران، الاستيلاء الدموي على الأغواط عام 1852، وفي 1857 انتفاضة بني سنوس عام 1859م في الونشريس، ثورة أولاد سيد شيخ من 1864 إلى 1884م، إبقاء الغزاة الفرنسيين للصحراء في حالة ترقب خلال 20 عامًا من الحرب، تمرّد المقراني في منطقة القبائل عام 1871 رغم التفوّق التقني والعسكري لخصومه، فوجد الشعب الجزائري نفسه مضطرًا للتخلّي مؤقتًا عن القتال المسلح. لكنه مع ذلك استمر في قيادة النضال من أجل استقلاله السياسي حتى أول نوفمبر 1954م. وفي مواجهة العدو الفرنسي، شعر الجزائريون بأنهم متّحدين للغاية إذ زاد وعيُهم الوطني، وهكذا شعر الشعب الجزائري كلّه بأحداث ماي 1945 المؤلمة التي وقعت في سطيف وقالمة. إنّ الوطن يشبه الجسد الذي إذا تعب يشعر فيه الجسد كله بتلك المعاناة. (SHAT, 1H1647, LA NATION ALGERIENNE SES CARACTERISTIQUES, LE PASSE HISTORIQUE, 1961, p6.).

3.3. التطلعات المشتركة

إذا كان أحد عناصر الأمّة يتكوّن من الماضي والآخر هو المستقبل فهذا يتجسد في الإرادة المشتركة لسكانها لتحقيق الإنجازات بين الأمم الحرّة، فيجب أن تكون أقوى بين الدول المستعمرة التي تحتاج إلى حل المشاكل الأساسية التي لا تظهر للدول الحرة، ولهذا فإنّ الشعب الجزائري بأسره اليوم يتحرك بإرادة لامتناهية للحصول على استقلاله، بفضل العمل الذي نظمته الثورة الجزائرية، بفضل تضحيات كل الجزائريين من أجل

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

تعزيز هذه الإرادة، ولهذا لا يمكن للأمّة أن تعيش وتزدهر إلا بالقدر الذي يكرّس فيه الإنسان نفسه للمجتمع، ولم تذهب تضحيات ملايين الجزائريين في الماضي عبثًا منذ أن أصبحت الأمّة الجزائرية تدرك وجودها وتاريخها وحقّها في الحياة، ومنه جاءت التضحيات الهائلة التي ستظل تقدّمها من خلال كفاحها أيضًا، وستكون ثمرة هذه التضحيات الاستقلال الوطني التّام وسعادة الشعب الجزائري الذي انتظره منذ الاحتلال الفرنسي الذي عمر زهاء القرن وربع. (SHAT, 1H1647, LA NATION ALGERIENNE SES CARACTERISTIQUES, LES ASPIRATIONS COMMUNES, 1961, 6p.).

4.3. اللغة

تمكّن اللّغة من التعبير عن أفكار الشعب، وهي أداة العلاقات بين سكان البلد، تعمل على تطوير التجارة والفنون والعلوم وازدهارها، تزداد أهمية اللّغة عندما يتحدّثها عدد أكبر من الأفراد مثل: الإنجليزية، الروسية، الإسبانية، العربية، يتم التحدث باللّغة العربية ليس فقط في شمال إفريقيا بل في ليبيا ومصر والحجاز واليمن وسوريا والعراق وفي كل ما يتألّف منه العالم العربي، وتعتبر اللّغة عنصر من عناصر التقارب بين الشعب مع تنوع اللّهجات والتقليد، ويجب أن تكون للأمّة لغة وطنية لكي تكون موحّدة ومنظّمة، فلغتنا الوطنية هي العربية إنّها لغة ديننا وثقافتنا وماضينا التاريخي التي يعبّر بها شعرائنا وكتابنا وفلاسفتنا (SHAT, 1H1647, LA NATION ALGERIENNE SES CARACTERISTIQUES, LA LANGUE, 1961, p7.).

5.3. الدين

الدين الإسلامي هو الينبوع الذي يستمد منه الجزائريون دوافع ثوراتهم ضد الاحتلال، كما أنّه مصدر قوّتهم في إعادة الكرّة كلما هُزموا، وأن كل الثورات كانت تتّخذ دوما صبغة الجهاد أي محاربة الكفار، وهو ما يضر الوجود الفرنسي في الجزائر، أما اللّغة العربية فهي الواجهة الأخرى للدين الإسلامي، لأنّها لغة القرآن وهو مصدر الإسلام الأساسي، وللقضاء عليها بمنع تدريسها، ومزاحمتها بالمدارس التبشيرية ومن أجل هذا اغتاظ لافيجري عندما ادخلت إدارة الاحتلال اللغة العربية كمادة دراسية في مدارس التعليم العمومي على الرغم من كون ذلك أعتبر كوسيلة لاستقطاب الأطفال المسلمين إلى هذه المدارس، إلا أن المبشرين كانوا يرون في تدريس اللغة العربية بقاء الجزائريين على صلة بدينهم، مما يجعل جهودهم التنصيرية تذهب هباء.

ودينا هو الاسلام الذي يشجع الخير ويحارب الشر، وينظم الحياة الأخلاقية للشعب الجزائري مثل اللغة، وهو تربية الروح للشعب والتعبير عن ثقافته، مصدر أخلاقه وعبادته لله. تزداد أهميّة الدين كلّما احتضنه عدد أكبر من الأفراد، تشكّل الراحة الأخلاقية والخلاص الأبدي للكثير من سكان الكرة الارضية، والإسلام هو المثال الفريد للتسامح واحترام جميع المعتقدات ويعبر عن اللغة الوطنية أي اللغة العربية، والذي أنتج فكرًا فلسفيًا ساميًا كان لعقود وقرون من الزمان المصدر الأساسي للفكر البشري (SHAT, 1H1647, LA

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

NATION ALGERIENNE SES CARACTERISTIQUES, Formation psychique : Religion, 1961, p7.).

الفائدة إن الثروة التي تخفيها أرضنا وباطن أرضنا، والإنتاج الزراعي لبلدنا، ورأس المال – عمل اليد العاملة الجزائرية– والعديد من الكنوز الأخرى المستغلة أو في المقدّرة، تشكل المصالح الجماعية وغير القابلة للتصرف للشعب الجزائري. هذه المصالح هي ممتلكاتنا الوطنية، ووسيلة عيشنا، والتراث الذي ورثه أسلافنا. إنه ملكنا بحق– لدينا ممتلكات حصرية وغير مقسمة ومقدسة. بالتأكيد كانوا هدفا لنهب المحتل الأجنبي، لكن لا شيء دائم يمكن أن يقوم على القوة. مائة عام من الاغتصاب لا تساوي يومًا من الحق، إنّ معركتنا ترمي إلى القضاء على هذا الاعتداء واستعادة هذا الحق (SHAT, 1H1647, LA NATION ALGERIENNE SES CARACTERISTIQUES, Formation psychique : Religion, 1961, p8.).

خاتمة

إنّ حقيقة وجود الأمة الجزائرية لا تحدّدها وجود حكومة أو نظام سياسي بل هي أعمق بكثير من الإبقاء على وجودها رغم اختفائها لمدة زمنية، حيث عرفت بلادنا تعاقب الكثير من الدول والحضارات من موحدين ومرابطين وفاطميين زيريين وزيانيين، وتؤكّد العديد من الأحداث أن الجزائر كانت تمتلك بالفعل روحًا وطنية منذ القرن 08 م أي بعد أن وحّد الإسلام الجزائريين وأنشأ مجتمعاً قويّاً من خلال الدّين واللّغة. وها الينبوع الذي يستمد منه الجزائريون دوافع ثوراتهم ضد الاحتلال، كما أنّها مصدر قوّتهم في إعادة الكرّة كلما هُزموا، وأن كل الثورات كانت تتّخذ دوما صبغة الجهاد أي محاربة الكفار، وهو ما يضر الوجود الفرنسي في الجزائر.

عزّز العدوان الفرنسي على الجزائر عام 1830م من تأكيد وجود أمّة مستقرة تشترك في الدّين واللّغة والثّقافة والتاريخ المشترك، وهذا ما جعل فرنسا تُروّج لأسطورة الجزائر الفرنسية وأنّ الجزائر مقاطعة فرنسية بهدف إضفاء الشرعية لعدوانها عام 1830، ولتحمي نفسها من كل النظرات على أنّها قوّة أجنبية دخيلة.

إنّ التأكيد على النضال الوطني المنظّم وفق أديولوجية الثورة الجزائرية كان يهدف إلى تحقيق الاستقلال لهذه الأمّة الموحّدة، ولذلك وجب تدمير النظام الاستعماري بالجزائر لاستبداله بدولة جزائرية مستقلة، والتي ترجمت في عقيدة الثورة الجزائرية في مجموعة الأفكار والقوى التي تترجم الطموحات والذكريات من مجتمع بشري يوحد جهوده وينخرط في نضال منظم بهدف تحقيقها، هو تدمير أو إزالة النظام الاستعماري واستبداله بدولة جزائرية مستقلة.

قائمة المراجع:

الأرشيف الفرنسي: المصلحة التاريخية للأرشيف البري فانسان.

SHAT, 1H1647, Documents récupérés sur les rebelles le 7 novembre 1961, ETATS MAJORS GENERALE, EDUCATION POLITIQUE.

SHAT, 1H1647, EDUCATION POLITIQUE. QUEST CE QUE LA DOCTRINE ?, 1961.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

SHAT, 1H1647, EDUCATION POLITIQUE. LES PRINCIPES DIRECTEURES DE LA DOCTRINE, 1961.

SHAT, 1H1647, LES PRINCIPES DIRECTEURES DE LA DOCTRINE, 1961.
SHAT, 1H1647, LES PRINCIPES DIRECTEURES DE LA DOCTRINE, La nation algérienne : ses caractéristiques, 1961.
SHAT, 1H1647, LES PRINCIPES DIRECTEURES DE LA DOCTRINE, La nation algérienne : ses caractéristiques, Le Passé historique.

SHAT, 1H1647, LA NATION ALGERIENNE SES CARACTERISTIQUES, 1961.
SHAT, 1H1647, LA NATION ALGERIENNE SES CARACTERISTIQUES, TERRITOIRE, 1961.
SHAT, 1H1647, LA NATION ALGERIENNE SES CARACTERISTIQUES, LE PASSE HISTORIQUE, 1961.
SHAT, 1H1647, LA NATION ALGERIENNE SES CARACTERISTIQUES, LES ASPIRATIONS COMMUNES, 1961.

SHAT, 1H1647, LA NATION ALGERIENNE SES CARACTERISTIQUES, LA LANGUE, 1961.
SHAT, 1H1647, LA NATION ALGERIENNE SES CARACTERISTIQUES, Formation psychique : Religion, 1961.

المراجع:

شارل روبير أجيرون، **تاريخ الجزائر المعاصرة**، ترجمة عيسى عصفور، منشورات عويدات، بيروت، 1986.

كاميل ريسلير، **السياسة الثقافية الفرنسية بالجزائر أهدافها وحدودها 1830–1962م**، ترجمة نذير طيار، دار كتابات جديدة للنشر الالكتروني، 2016.

رابح تركي، **التعليم القومي والشخصية الوطنية 1931– 1956م**، دراسة تربوية للشخصية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)